بين سيد قطب والحقيقة

للأستاذ صلاح ذهني

لم تعد المعركة بيني وبين سيد قطب ، فقد خرج الأمر من يدى ...

المعركة الآن بين سيد قطب وبين الحقيقة الواضحة . إنه إن صلح ناقداً للشعر فلن يصلح ناقداً للقصة . ذلك لأن أبسط ما يستلزمه فهم القصة الحديثة ودراستها وفهم المدارس الأدبية إطلاقاً هو الالمام بلغة أجنبية . ولو أن سيد قطب قصر كلامه فى مقاله عن تيمور على إبداء الاعجاب والسخط ، ولو أنه لم يتعالم فيتكلم عن مدارس الأدب ويأخذ فى التقسيم والتوزيع . لو أنه قنع بذلك دون أن يقحم نفسه فيما جرّ عليه الخطأ ، إذن لما كان يعنينى أن أرد عليه . لكنه أبى إلا أن يحشر نفسه فى مجال لا يفهم فيه ، ولا يعيبه ألا يفهم فيه .

وبعد . فلأخاطب القراء فيما بين سيد قطب وبين الحقيقة من خلاف ، ولأعرض عليه القضايا التى أثرتها فى وجه سيد قطب .

١ — جار سيد قطب في أمر تيمور فقلت له إنه من كتاب القصة القصيرة ومكانته بين ذوى النزعة الواقعية

٢ — حشر الصديق يوسف جوهر حشراً فى زمرة الناسجين على منوال موباسان . فقلت له : إن هـذا خطأ ، لأن يوسف جوهر ينحو نحواً غير الذى تنحوه القصة عند موباسان

٣ — ذكر الأستاذين توفيق الحكيم والمازنى فى أصحاب القصة ؛ والأول كاتب روائى ومسرحى ورائد فن قائم بذاته ، والثانى كاتب مقالة ممتاز مهما يكن القالب الذى يصطنعه

ذلك فى مقاله الأول ، أما فى مقاله الثانى ، فقد زج بنفسه مرة أخرى فيما ليس له فيه ، وزعم أنه كشف عن هنات أربع للأستاذ نجيب محفوظ فى روايته كفاح طيبة ، ونبه إليها المؤلف فى لهجة توهمه إنه إزاء عالم فى المصريات ...

١ — قال : إن نجيب محفوظ مخطئ لأنه قدر حكم الرعاة بمائتى عام . فقلت له : بل مصيب لأن ذلك هو التقدير الصحيح

٢ — وقال : إن بلاد النوبة تسمية حديثة . فقلت له : بل هى تسمية قديمة ولصقت بهـذا الاقليم من أرض مصر حتى العصور الحديثة

٣ — وقال : إن الاسم الصحيح لهذه البلاد هو بلاد بنت فقلت له : إن بلاد بنت هي الصومال الحالية ...

٤ — وقال : إن نجيب محفوظ مخطئ فى توهمه اشتقاق اسم أحمس من الحماسة والجرأة ، لأن ذلك اشتقاق يجوز فى اللغة العربية ، فقلت له : بل إن أحمس بمعناها القديم تعنى الجرأة والاقدام .

فـا ذا كان رد سيد قطب الناقد ؟

ساق إلى دليـلاً على صحة رأيه فى حكم الرعاة لمصر تقدير جوستاف لوبون ! !

وجوستاف لوبون عالم فى الاجتماع لا فى التاريخ . ولو سألنى عن مؤرخ يؤيده فى رأيه لقلت له اسم مانيتون مثلاً الذى قدر مدة حكم الرعاة بأكثر من ستمائة عام ! ولقلت له إن جوستاف لوبون اعتمد على مانيتون وأضرابه من المؤرخين القدماء الذين أتوا بعده بقرون ، والذين كتبوا قبل أن تتسع المعلومات عن التاريخ المصرى القديم ...

ثم لقلت له ما دام مغرماً بالأسماء الأفرنجية إرضاء لمركب النقص الخبيث . أمامك عشرات العلماء فى التاريخ من المحدثين عد إليهم ، عد إلى هنرى برستد « فى تاريخ مصر القديمة » الفصل الحادى عشر والثانى عشر ، فى أكثر من موضع من هذين الفصلين يتكرر تقدير مدة حكم الرعاة بأقل من مائتى عام وفى الخمسة أسطر الأولى بالذات من الفصل رقم ١٢ تجده يذكر ذلك . وغير برستد تجد فلندرز بترى وغيره .

أما التصويب الثانى بشأن تسمية بلاد النوبة ، فقد صمت عنه صمتاً جميلاً !

وأما التصويب الثالث ، فقد أقره واعترف بخطئه ، ثم رمانى بالتبجح المريض لأننى صححت خطأ ناقد ممتاز ...

وأما عن كلمة أحمس القديمة ، فلم يسلم بتصويبى ولا أكد رأيه وإنما قال إنه ينتظر الاثبات ! !

وإنى لأترك للقراء أن يبحثوا فى قواميسهم عن وصف يليق بناقد مخطئ كلاماً لا يملك له إثباتاً ولا نفياً ...

وأما قصة العجلات الحربية التي أدخلها الهكسوس في مصر، فهي أوضح من أن تحتاج لتمثله من الرد عليها، فهو يستنكر جملة وردت على لسان الملك المصري الذي شهد الحرب على الهكسوس لاخراجهم من مصر وهو (سكنن رع) يظهر بها استنكاره لكثرة عدد العجلات الحربية لدى الرعاة، مع أنهم حديثو عهد بها، وقد أخذوها عن سكان فلسطين، كما أخذها المصريون بدورهم عن الرعاة، هذه مسألة واضحة، من الجائز، بل من المنطق، أن يطمع ملك مصر العليا في أن يصنع عماله عدداً أكثر مما يصنعه عمال ملك الرعاة ...

وبقيت بعد ذلك قصة المدارس الأدبية، وهي التي جرت عليه أخطاءه في مقاله الأول عن تيمور، لقد كان رده ترك الحديث فيها لأنها لا تستحق الحديث

ومرة أخرى أصحح للناقد الفاضل. إنه مصيب في ترك هذا الموضوع، لا لأنه لا يستحق الحديث، وإنما لأن موضوع المدارس الأدبية هو موضوع الأدب الأوروبي أولا وقبل كل شيء، ولاغنى لمن يتكلم عنها من الاطلاع على هذا الأدب، ولا أحب مناقشة سيد قطب في موضوع الأدب الأوروبي لأنه — ولن يعيبه ذلك — لا يعرف لغة أوربية معرفة تسوغ له الكلام فيه، ولقد أخطىء أو أصيب، ولكنه سيخطىء حتما إن تعرض له شأن من يقحم نفسه فيما لا يعلم.

وأرجو بهذه المناسبة أن يقال سيد قطب من ذكر الأسماء الأفرنجيه وترديد أسماء الكتاب الأوربيين بلهجة توهم القراء أنه من أهل الاطلاع الواسع في هذا الأدب. إنه لا يفعل أكثر من الخطأ المضحك كلما ذكر اسماً من الأسماء الأوروبية، وأذكر أنني قرأت له منذ عام مقالاً جاء فيه ما نصه:

« وإن بعضهم ليحتج بمثل اعترافات روسو، وقصص بودلير، وقصائد لورنس ... وقصص بودلير تحمل فناً وهي مع ذلك ليست خير الآداب ولا أرفعها، وقصائد لورنس تحمل فكرة يعالجها من هذا الطريق ... »

والذين يعلمون أبسط العلم يعرفون أن بودلير لم يكن قصاصاً وإنما كان شاعراً وإن كتب قصتين، وأن لورنس لم يكن شاعراً وإنما كان قصاصاً، وأن الأوصاف التي وصف بها سيد قطب لا تنطبق إلا على شعر الاول وقصص الثاني !!.

هذه الأخطاء منشؤها الولوع بترديد الأسماء الأوروبية في غير داع إلا الإيهام والتغرير، ولا ضير على سيد قطب لو لزم حدود ثقافته ..

ولقد أشـــار في ختام مقاله إلى الدوافع التي أثارتني لمهاجمته.

فأما تشجيعه أو هجومه فما أحسب أن ساذجا يعنى برأي ناقد في موضوعات مبلغ علمه بها ما قدمت.

إنما الذي أثارني أن سيد قطب له عادة غير عاداته التي قصها على قراء الرسالة في العدد الماضي وهي أن لا يقرأ كتاباً ولا يكتب عن كتاب إلا إذا استهداه. ولقد جاءني يوما يطلب أن أستهدي له تيمور مؤلفاته لأنه يريد دراستها ففعلت، وكان أبسط واجب للياقة أن أصحح للناقد أخطاءه في دراسة صديق تيمور، وليلحظ أني أقول صديق. فإني حريص على أن يفهم أن الصلة بين الكتاب قد تكون صداقة أحياناً، ولا تكون دائما صلة الأصل بالظل والتابع بالمتبوع.

وما أنكر أني أفدت من قراءة تيمور كما أفدت من قراءة غيره من الكتاب. لكن الذي أنكره دائما أن يكون كل الكتاب ظلالاً.. ذلك ما أنكره ولا أحبه. ولا أملك مثلا غير سيد قطب نفسه أضعه أمام القراء ليروا فيه نموذجا للظلال. فقد قضى عشرين عاما لم يعد خلالها أن يكون ظلاً في ساعة الظهيرة للكاتب الكبير عباس محمود العقاد ... وما كان في ذلك ضير لو أنه كان ظلا مستقيما ...

وليحكم القراء أخيراً بين من يترفق بالجاهل فيصفه بعدم العلم ويدعوه في رفق إلى التثبت والتبصر، وبين من يخطىء ويعترف ويتهم من يصوب خطأه بالتهجم المريض !!

صموع ذهني